

بغداد في كتب المؤرخين في القرن السابع الهجري ابن الاثير انموذجاً

امثال النقيب
مركز احياء التراث العلمي العربي
جامعة بغداد

المقدمة

يعد القرن السابع الهجري /الثالث عشر ميلادي من أسوأ القرون التي عصفت بتاريخ أمتنا، وتمثل ذلك بالغزو الصليبي الذي كان في أوجه ومن ثم الغزو المغولي الهمجي الذي انهال على الأمة كما الجراد، أضيف لذلك ما كانت عليه الاحوال الداخلية من نزاعات بين الملوك والسلاطين، ورغم كل ذلك استطاع ثلة من العلماء الأكابر ان يدنوا التاريخ ويسطروه ليقى محفوظاً للأجيال اللاحقة وصوناً لتراث الأمة العريق.

ورغم ذلك كله فقد شهد القرن السابع الهجري /الثالث عشر ميلادي نشاطاً ثقافياً ملموساً في بلاد الشام تجلى بكثرة إنشاء المدارس والمكتبات فقد ذكر ابن خلكان عندما زار حلب سنة (623هـ/1226م) أنها كانت ام البلاد لكثرة العلماء فيها،⁽¹⁾ وذكر النعمي⁽²⁾ عند حديثه عن المدارس في بلاد الشام ستاً وستين مدرسة، أنشئت في القرن السابع الهجري للمذاهب الأربعة منها مدرستان للمالكية، وثمان مدارس للحنابلة وخمس وعشرون مدرسة للحنفية، وواحدة وثلاثون مدرسة للشافعية، كما اورد ذكر ثلاث مدارس أشئت لدراسة الطب، ولاشك بأن هذا العدد الكبير من المدارس يدل على وجود نهضة ثقافية واضحة في ذلك العصر، حيث ان هذه المدارس قد اشتملت على دور القرآن الكريم ودور الحديث الشريف، وكانت تعلم الحديث النبوي وعلوم القرآن واللغة والنحو والصرف والبلاغة والعروض والعلوم التاريخية وغير ذلك.

وكان لملوك بني أيوب الاثر الواضح في المساهمة ببناء دور العلم، وكان على راسهم في ذلك صلاح الدين الايوبي، الذي اسس مدارس متعددة في المدن الشامية المهمة، كالمدرسة الصلاحية بالقدس، والمدرسة التقوية في دمشق، وكانت من اجل مدارس دمشق داخل باب الفراديس وسميت "نظام الشام"⁽³⁾ وكذلك اهتمت الاميرات الايوبيات ببناء المدارس منهن " ست الشام" أخت السلطان صلاح الدين الأيوبي، التي أنشئت مدرستين للشافعية هما:

الشامية البرانية، والشامية الجوانية (4)، اضيف لذلك ان كثيراً من التجار والعلماء قد ساهم في إنشاء المدارس منهم على سبيل المثال: أبو بكر بن عياش التميمي الجوهري الذي وقف المدرسة الجوهريّة في دمشق على مذهب الحنابلة سنة (676هـ/1277م).⁽⁵⁾

وشهد القرن السابع الهجري نشاطاً ملحوظاً في التأليف من ناحية وفي جمع الكتب وإنشاء المكتبات من ناحية أخرى والعناية بها، وشملت العناية بالكتب كل المشتغلين بالعلم والادب من العلماء والادباء والمفكرين، فقد وجد في كل مدرسة من مدارس الشام خزائن للكتب، كالمدرسة الاشرافية بدمشق والمدرسة العادلية، والمدرسة العمريّة، والمدرسة الناصرية (6)، كما وضعت أغلبية المساجد مكتبات احتوت على مختلف أنواع العلوم، كالمكتبة التي في الجامع الايوبي بدمشق، كما ضمت الربط والخوانق مكتبات احتوت على أصناف متعددة من العلوم (7)، وقد تنوعت مجالات تأليف الكتب في تلك الفترة، فألف في علوم الدين واللغة العربية وعلوم التاريخ والجغرافية.

المبحث الاول:

اولاً: سيرة عز الدين ابن الاثير (ت530هـ/1232م):

ولد أبو الحسن علي بن أبي الكرم، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الاثير الجزري الملقب عز الدين (8) بجزيرة ابن عمر أو الجزيرة العمريّة (i) في رابع جمادى الاول سنة خمس وخمسين وخمسائة. وقد جاء لقبه بالجزري نسبة الى هذه الجزيرة، وأما لقبه عز الدين فجاء جرياً على عادة عصره، واما ابن الاثير فهو نسب يعود الى والده، الذي كان اثيراً عند الاتايك قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي صاحب الموصل (ت 565 هـ/1170م) وشقيق الأتابك نور الدين محمود صاحب الشام وحلب (ت 569 هـ/1174م)، وهذه الأثرة عنده جعلته يتبوأ مناصب عالية في مملكته أبرزها عاملاً على جزيرة ابن عمر ومتولي ديوان الخراج فيها⁽⁹⁾. أما بالنسبة لوفاة عز الدين ابن الاثير – رحمه الله- فقد كانت وفاته في شعبان سنة ثلاثين وستمائة بالموصل⁽¹⁰⁾

ثانياً:

ثقافة ابن الاثير:

بدأ عز الدين ابن الاثير طفولته كغيره من الاطفال والصبيان في عصره، في الجلوس الى مقاعد الدراسة في كتاتيب جزيرة ابن عمر ومدارسها، لأخذ مبادئ القراءة والكتابة والعلوم الأخرى من حديث، وفقه، وقراءات، وفرائض، ومنطق، وحساب، وهيئة، ونجوم، واداب، وتاريخ، وانساب. ولعل

هذه العلوم في مجموعها حصيلة العلوم في ذلك الزمان. وقد ذكر لنا عز الدين ابن الاثير في كتابه.

" الكامل في التاريخ" في حوادث سنة (571هـ/1175م) قراءته على احد شيوخ الحساب ويقول: " في هذه السنة في شهر رمضان، انكسفت الشمس جميعها، وأظلمت الارض حتى بقي الوقت كأنه ليل مظلم، وظهرت الكواكب، وكان ذلك صحوة النهار، يوم الجمعة، التاسع والعشرون منه وكنت حينئذ صبياً بظاهر جزيرة ابن عمر مع شيخ لنا من العلماء أقرأ عليه الحساب، فلما رأيت ذلك خفت خوفاً شديداً وتمسكت به فقوي قلبي، وكان عالماً بالنجوم وقال لي: الان ترى هذا جميعه ينصرف، فانصرف سريعاً⁽¹¹⁾ وعلى كل حال فإن الموصل هي المكان الذي كون فيه ميو له الثقافية، ولكن هذا لايعني انه المكان الوحيد بل ارتحل إلى دمشق وحلب ومكة والقدس⁽¹²⁾ لطلب العلم، وقد درس على عدد من الشيوخ الذين كان لهم الفضل في تكوين شخصيته الفكرية.

ثالثاً:

منزلته العلمية ووفاته:

لقد احتل ابن الاثير مكانة علمية كبيرة، وأشاد به من جاء بعده من المؤرخين، وشهد معاصروه من كبار المؤرخين والمؤلفين بالجوانب المتعددة التي احتوتها معرفته، فقد قال عنه ابن خلكان:

" انه كان إماماً في حفظ الحديث ومعرفته وحافظاً للتواريخ المتقدمة والمتأخرة، وخبيراً بأنساب العرب وأيامهم ووقائعهم واخبارهم⁽¹³⁾.

ووصفه ابن كثير " الإمام العلامة⁽¹⁴⁾ وقال عنه الذهبي: " كان صدرأً معظماً كثير الفضائل⁽¹⁵⁾ كما قال عنه ابن العماد الحنبلي إنه كان إماماً، نساباً، مؤرخاً إخبارياً، ادبياً ويقابل هذه الاحترام من قبل بعض من ترجمو له، تهجم من احد معاصريه وهو القفطي، الذي وجه له تهمة استيلائه على مكتبة ياقوت الحموي، الذي أوصى قبل موته أن تضم الى وقف المسجد الزبيدي ببغداد، فذكر ابن العماد الحنبلي: "أن ابن الاثير لم ينفذ الوصية بل فرق المكتبة على جماعته ومعارفه⁽¹⁶⁾ ولكن يقابل ذلك ما ذكره ابن خلكان في ترجمته لياقوت الحموي بقوله:" وكان قد وقف كتبه على المسجد الزبيدي الذي بدرب دينار ببغداد، وسلمها الى الشيخ عز الدين أبي الحسن علي بن الاثري صاحب التاريخ الكبير، فحملها الى هناك⁽¹⁷⁾. لذلك فالرواية التي اوردها القفطي هي مثار شك، لابن خلكان يحض هذه الرواية برواية، وضح فيها أن عز الدين ابن الاثير نفذ وصية صديقه ياقوت كما اسلفنا.

المبحث الثاني:

كتاب " الكامل في التاريخ" وأهميته:

لقد كان لترحال وتنقل عز الدين ابن الأثير بين الموصل وبغداد وحلب ودمشق أثر في تكوينه الفكري والثقافي، نظراً لأن هذه المدن كانت في القرن السابع الهجري مراكز للعلم، فهي تعج بالعلم والعلماء والادباء. انعكست على كتابات عز الدين ابن الأثير من خلال مسارين هما: الحديث والفقهاء والقراء والحفاظ والنجاة وغيرهم، وبالتالي فإن هذه الثقافة انعكست على كتابات عز الدين ابن الأثير من خلال مسارين هما: الحديث والتاريخ مع ملاحظة ان المسار التاريخي كان لديه أبلغ وأوضح، فكتاب " الكامل في التاريخ"، كان الأهم من بين مؤلفاته وهو موضع هذا البحث، وهو تاريخ عام منذ الخليقة وابتداء أول الزمان حتى عصره، حيث انتهى عند آخر سنة (628هـ/1230م)، أي إنه يعالج تاريخ العالم القديم حتى ظهوره الإسلام، وتاريخ العالم الاسلامي منذ ظهور الإسلام حتى عصره، والتزم في كتابه بالمنهج الحولي في تسجيل الاحداث، فهو يسجل أحداث كل سنة على حدة، وأقام توازناً بين اخبار المشرق والمغرب وما بينهما على مدى سبعة قرون وربع قرن، وهو ما اعطى كتابه طابع التاريخ العام، وفي الوقت نفسه لم يهمل الحوادث المحلية في كل إقليم، وأخبار الظواهر الجوية والارضية من غلاء ورخص وقحط وأوبئة وزلازل. ولم يكن ابن الأثير في كتابه ناقل أخبار او مسجل أحداث فحسب، وإنما كان محلاً بارعاً وناقداً بصيراً، حيث حرص على تعليل بعض الظواهر التاريخية ونقد أصحاب مصادره، وناقش كثيراً من اخبارهم... وتجد لديه النقد السياسي والحربي والأخلاقي والعملية يأتي بشكل عفوي بين ثنايا الكتاب، وهو ما جعل شخصيته التاريخية واضحة تماماً في كتابه على الدوام.

وقد استكمل ابن الأثير ما توقف عنده تاريخ الطبري⁽¹⁸⁾ في سنة (302 هـ/914م) وهي السنة التي انتهى بها كتابه، فبعد الطبري لم يظهر كتاب يغطي أخبار حقبة تمتد لأكثر من ثلاثة قرون، كما أن كتاب ابن الأثير تضمن اخبار الحروب الصليبية كمجموعة متصلة منذ دخولهم في سنة (491 هـ/1097م) حتى سنة (628 هـ/1230م)، وتضمن أيضاً اخبار الزحف التتري " المغولي" على المشرق الإسلامي منذ بدايته في سنة (616 هـ/1219م). وقد كتب ابن الأثير تاريخه بأسلوب نثري مرسل لا تتكلف فيه، مبتعداً عن الزخارف اللفظية والالفاظ الغربية، معتنياً بإيراد المادة الخبرية بعبارات موجزة واضحة. وقد شهد لهذا الكتاب جملة من المؤرخين فقد ذكر ابن خلكان⁽¹⁹⁾ وابن كثير بأنه من احسنها حوادث⁽²⁰⁾، وقد كتبه ورتبه على الحوادث والسنين⁽²¹⁾.

أما عن تسميته فيقول عز الدين ابن الاثير: ولقد سميته اسماً يناسب معناه، وهو " الكامل في التاريخ" (22)، وقد جمع فيه حسب قوله أخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما حيث أورد قائلاً: " فلما رأيت الامر كذلك شرعت في تأليف تاريخ جامع الاخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما، ليكون تذكرة لي أراجعه خوف النسيان، وأتى فيه الحوادث والكاننات من أول الزمان، متابعة يتلو بعضها بعضا الى وقتنا هذا، ولا أقول اني اتيت على جميع الحوادث المتعلقة بالتاريخ، فإن من هو الموصل لابد ان يشذ عنه ما هو بأقصى الشرق والغرب، ولكن أقول إنني قد جمعت في كتابي هذا ما لم يجتمع في كتاب واحد، ومن تأمله علم صحة ذلك. (23) وهكذا فإن ابن الاثير ينظر إلى كتابة "الكامل في التاريخ"، انه كامل بما اشتمل عليه من تاريخ وتوثيق لأخبار الماضين وتاريخهم، ومن هنا جاءت التسمية " الكامل في التاريخ".

ولاشك أن قيمة كتاب " الكامل في التاريخ" تنبع من أهمية المعلومات التي يحويها بين طياته، فالكتاب يحتوي على معلومات كثيرة، عن الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية، والثقافية، والحياة العلمية.

أولاً: الاوضاع الاقتصادية:

نجد هنا أن ابن الاثير يوجه اهتماماً كبيراً نحو الاوضاع الاقتصادية من أزمات اقتصادية، ورخاء، وغلاء في الاسعار، وذلك في مختلف الاقاليم الإسلامية، ومثال على ذلك: في سنة (329 هـ/941م)، يذكر ابن الاثير: " في هذه السنة كان بالعراق غلاء شديد فاستسقى الناس في ربيع الاول، فسقوا مطراً قليلاً لم يجر منه ميزاب، ثم اشتد الغلاء والوباء وكثر الموت حتى كان يدفن الجماعة في القبر الواحد ولا يغسلون ولا يصلى عليهم ورخص العقار ببغداد، والاثاث حتى بيع ما ثمنه دينار بدرهم. (24)

وفي سنة (395 هـ/1005م) يقول ابن الاثير: " في هذه السنة كان بافريقية غلاء شديد، بحيث تعطلت المخابز، والحمامات وهلك الناس وذهبت الاموال من الاغنياء وكثر الوباء، فكان يموت كل يوم مابين خمسمائة الى سبعمائة. (25)

ثانياً: الاوضاع الثقافية:

في الجانب الثقافي نجد أن ابن الاثير كان متابعاً لما يجري في العالم الاسلامي من حركات فكرية وعلمية وثقافية، كما رصد لنا سني وفيات العلماء والمفكرين وأصحاب الرأي من فقهاء ومحدثين ووعاظ وفلاسفة ومؤرخين وأدباء. وفيما يلي بعض مما أورده ابن الاثير في هذا المجال:

- ذكر في حوادث سنة (339 هـ/950)، انه توفي أبو نصر محمد بن محمد الفارابي الحكيم الفيلسوف صاحب التصانيف فيها (26)، وكان

موته بدمشق، وكان تلميذ يوحنا بن حيلان، وكانت وفاة يوحنا أيام
المقتدر بالله، وفيها ما ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي
النحوي وقيل سنة اربعين (27).

- ويقول ابن الاثير في أحداث سنة (398هـ/999م):
"توفي أبو الفرج عبد الواحد بن نصر المعروف بالبيغا الشاعر
وديوانه مشهور، (28) والبيديع ابو الفضل احمد ابن الحسين الهذاني صاحب
المقامات المشهورة وله شعر حسن، وقرأ الادب على ابن الحسين ابن
فارس مصنف الجمل (29).

- كما يذكر في حوادث سنة (426هـ/1034م)، أنه توفي فيها أبو علي
الحسين بن أحمد بن شاذان المحدث الاشعري مذهباً، وكان مولده
بيغداد سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وحمزة ابن يوسف الجرجاني وكان
من أهل الحديث. (30)

ثالثاً: الحياة الاجتماعية:

يركز ابن الاثير في كتابة " الكامل في التاريخ" على العديد من
مظاهر الحياة الاجتماعية ، فقد تناول معيشة الناس وعاداتهم ومناسباتهم
ومواكبهم وتضامنهم الاجتماعي، والفئات الاجتماعية الموجودة والغرائب
والعجائب الاجتماعية ومثال على ذلك:

- ذكره لمهر الزواج، يقول في أحداث سنة (331 هـ/943م): " وفيها
تزوج الامير ابو منصور بن المتقي لله بابنه ناصر الدولة بن حمدان،
وكان الصداق ألف ألف درهم..." (31)

- وذكره بعض العادات الاجتماعية السيئة كالسرقة فهو يقول في احداث
سنة (421 هـ/1030م): " وفيها ظهر متلصصة ببغداد من الاكراد
فكانوا يسرقون دواب الاتراك فنقل الاتراك خيلهم الى دورهم ونقل
جلال الدولة دوابه الى بيت في دار المملكة (32).

- كما ذكر أن ابن الأثير " العيارون (33) وذلك في كل فتنة حدثت، فهو
يقول في أحداث سنة (422هـ/1031م): "... فتارت لذلك فتنة بين
العامة والجنود وعظم الامر وظهر العيارون (34)، وفي أحداث سنة
(425هـ/1034م) يقول: " وفيها استخلف البساسيري في حماية
الجانب الغربي ببغداد لان العيارين اشدت امرهم وعظم فسادهم وعجز
عنهم نواب السلطان فاستعملوا البساسيري لكفايته ونهضته (35)، كما
ذكر من الفئات الاجتماعية باعة الطريق ، العرابة، أهل السوق،
الطارين (36).

أضف لما تقدم اهتمام ابن الاثير بالنكبات التي اصابت بعض البلاد، كالفيضانات، والابوثة، والحرائق، ونذكر أمثلة على ذلك:

- يقول ابن الاثير في أحداث سنة (242هـ/865م): " في هذه السنة كانت زلازل هائلة بقومس ورساتيقاتها في شعبان فتهدمت الدور وهلك تحت الهدم بشر كثير قيل: كان عددهم خمسة واربعين الفا وستة وتسعين نفسا وكان اكثر.

ذلك بالدفاعان، وكان بالشام، وفارس، وخراسان في هذه السنة زلازل وأصوات منكرة، وكان باليمن مثل ذلك مع خسف"⁽³⁷⁾ كما تناول ابن الاثير المدن وتخطيطها وعمرانها، حيث ذكر المحلات والاسواق والمدارس والجوامع والمقابر والانهار والدروب والقصور، ونذكر على سبيل المثال:

- في أحداث سنة (535 هـ/1141م) قال ابن الاثير عن المدرسة الكمالية ببغداد: " فيها بنيت المدرسة الكمالية ببغداد بناها كمال الدين أبو الفتوح بن طلحة صاحب المخزن، ولما فرغت درس فيها الشيخ ابو الحسن بن الخل وحضره ارباب المناصب وسائر الفقهاء"⁽³⁸⁾.

كما تناول ابن الاثير في كتابه " الكامل في التاريخ" الحديث عن جامع ابن طولون⁽³⁹⁾ وجامع سرقسطة⁽⁴⁰⁾، كما تناول المقابر ومن توفي فيها مثل مقابر الخيزران⁽⁴¹⁾ ومقابر قریش⁽⁴²⁾ كما تحدث عن الاسواق كسوق الأهواز⁽⁴³⁾ والجسور كجسر ساباط، والجسر الجديد⁽⁴⁴⁾، والجسر الاكبر⁽⁴⁵⁾

من خلال ما سبق يتبين ان منهج ابن الاثير في الكتابة التاريخية كان شمولياً لجوانب الحياة المختلفة على مر الفترات التاريخية التي تناولها أثناء التي تناولها أثناء كتابته للتاريخ، مما يدل على سعة ثقافته واطلاعه وتمكنه من هذا التخصص.

المبحث الثالث:

اولاً:

مصادر ابن الأثير في كتابه " الكامل في التاريخ" اختلف مصادر روايات عز الدين ابن الاثير في كتابه " الكامل في التاريخ"، ومن أهم هذه المصادر:

- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ/922م)، صاحب كتاب "تاريخ الرسل والملوك"، وهو المصدر الرئيسي لعز الدين ابن الاثير في كتابه " الكامل في التاريخ"، وقد اعتمده في الجزء الاول المختص

بخلق العالم، وقد اعترف عز الدين ابن الاثير بفضل الطبري وتاريخه عليه في جميع المواضيع التي نقل فيها عنه أو لخص منه، كما اعتمده في اخبار السيرة النبوية دون ان يضيف اليه اي مصدر آخر، حيث أقر بذلك بقوله: "إلا مايتعلق بما جرى بين اصحاب رسول الله فإني لم اصف الى مانقله ابو جعفر شيئاً الا ما فيه زيادة بيان او اسم انسان أو ما لا يطفى على احد منهم في نقله وإنما اعتمدت عليه من بين المؤرخين إذ هو الامام المتقن حقاً، الجامع علماً وصحة اعتقاد وصدقاً".⁽⁴⁶⁾

- ثابت بن سنان (ت370ه/981م)⁽⁴⁷⁾ صاحب كتاب التاريخ، وتاريخه هذا يبدأ من سنة تسعين ومائتين وحتى شهر نة (363ه/876م) وعليه ذيل ابن اخته هلال بن المحسن.
- احمد بن محمد مسكويه (ت 370ه/981م)، صاحب كتاب " تجارب الامم وتعاقب الهمم" والذي ينتهي سنة (69ه/980م)، والذيل الذي وضعه له الوزير ابو شجاع وسماه " ذيل تجارب الامم" وينتهي (389ه/988م)⁽⁴⁸⁾.
- ابو الحسن هلال بن الحسن بن ابي اسحق ابراهيم بن هلال الصابي⁽⁴⁹⁾ صاحب كتاب " التريخ" والذي ينتهي سنة (447ه/1055م)⁽⁵⁰⁾.
- محمد بن عبدالمك (ت531ه/1137م) صاحب كتاب " تكملة تاريخ الطبري" وهذا التاريخ ينتهي بسنة (487ه/1094م)⁽⁵¹⁾.
- ابن الجوزي، ابو الفرج عبدالرحمن بن ابي الحسن⁽⁵²⁾ صاحب " كتاب المنتظم في تاريخ الملوك والامم" وينتهي هذا الكتاب سنة (547ه/1152م).
- البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر بن داود(ت279ه/892م)، وقد اعتمد عز الدين ابن الاثير على كتابه " انساب الاشراف"، علماً ان له كتاباً اخر مشهوراً هو " فتوح البلدان".
- حمزة بن الحسن الاصفهاني (ت350ه/961م)، وكتابه " تاريخ نسب ملوك الارض والانبياء" وهو يتناول التاريخ منذ البدء وحتى وفاته.

- الشهرستاني (ت548ه/1153م), وكتابه " الملل والنحل " كمصدر لدراسة الفرق الاسلامية.
- ابن عبد الحكم (ت257ه/870م), فيما يتعلق بفتوح مصر والمغرب ومن خلال كتابه " فتوح مصر ".
- الحميدي (ت488ه/1095م), وكتابه " جذوة المنقبتس في ذكر ولاة الاندلس " مصدر اص له في دراسة بلاد المغرب وافريقية.
- البوى (ت401ه/1010م), وكتابه " سيرة احمد بن طولون " فيما يتعلق ببلاد المغرب.
- ابن عساكر (ت571ه/1175م), وكتابه " تاريخ دمشق " فيما يتعلق ببلاد الشام.
- ابن القلانسي (ت555ه/1160م), وكتابه " ذيل تاريخ دمشق " فيما يتعلق ببلاد الشام.
- العماد الاصفهاني (ت597ه/1201م), وكتابه : " البرق الشامي " والفتح القسي في الفتح القدسي".
- ابن العديم (ت660ه/1261م), وكتابه " زبدة الحلب في تاريخ حلب ".
- الازدي (ت334ه/945م), وكتابه "تاريخ الموصل".
كما استخدم ابن الاثير مشاهداته

ثانياً:

وملاحظاته كمصدر من مصادر رواياته:

منهج عز الدين ابن الاثير واسلوبه في كتابه " الكامل في التاريخ", لقد تبين من خلال العرض السابق ان ابن الاثير قد قرأ المكتبة التاريخية حتى عصره مما جعله اهلاً لأخراج هذا السفر العظيم, وقد اثر ابن الاثير ان يورد مصادر عديدة استخدمها في كتابه, كما اشرت سابقاً ويمكن ملاحظة ما يأتي:
اولاً: صنف ابن الاثير تاريخه حسب الحوادث والسنين للمصادر والمدن وليس حسب المواضيع.

ثانياً: اعتمد ابن الاثير على الوصف الدقيق للاحداث التاريخية (53).

ثالثاً: اعتمد ابن الاثير في ايراد مادة الكتاب اسلوباً هو في الاغلب اسلوب من ينقل عنهم, ومن هنا جاءت معظم متون هذه النصوص التي تمت مع المصادر التي نقل عنها مطابقة تماماً بأستثناء ما ورد من اختلافات لفظية (54). استشهد ابن الاثير بايات من القران في كثير من رواياته (55), واورد احاديث شريفة (56), كما اورد ابياتاً من الشعر (57).

- اتبع اسلوب البساطة في الفاظه بشكل عام, مركزاً على متن الخبر.
 - تفاوتت رواياته من حيث طولها, فبعضها اخذ عدداً من الصفحات وخاصة في الجوانب السياسية, وبعضها قصير لا يتجاوز عدد الاسطر, وذكر ابن الاثير هنا حول هذه النقطة: " وذكرت في كل سنة لكل حادثة كبيرة مشهورة ترجمة تخصصها, فاما الحوادث الصغار التي لا يحتمل منها كل شيء ترجمة فانني افردت لجمعها ترجمة واحدة في اخر كل سنة فاقول: (ذكر عدة حوادث) (58).
 - كما يتميز منهجه بنقد الروايات ولم يكن جامعاً للروايات فقط (59).
 - انتقاده للخلفاء والولاة والامراء (60).
- هذه وقد تكون هناك ملاحظات اخرى تتعلق بمنهج الكتاب وسلوبه يمكن ملاحظتها في ثنايا الكتاب وان ماذكرته هو الطابع المميز للكتاب.

الخاتمة:

يمكن القول ان منهج التصنيف الذي اتبعه ابن الاثير في كتابه " الكامل في التاريخ" هو المنهج الحولي (الترتيب حسب السنين), وقد راعى ابن الاثير في ترتيب تاريخه تسلسل الحوادث, في بغداد فرتبها حسب وقوعها سنة بعد سنة, فذكر في كل سنة ما وقع فيها من الاحداث التي راي انها تستحق الذكر. ويختلف حجم الحوليات لديه حسب كثرة وقوع الحوادث فيها, او قلتها, واهميتها, وبلوغ اخبارها اليه. فيطيل ويقصر وفق ذلك, فبعض الحوليات لا تعدو صفحة او صفحتين, وبعضها الاخر يزيد طوله على خمس صفحات, واذا كانت الحادثة طويلة فيجزأها حسب السنين التي تستغرقها.

اما طريقة في سرد احداث كل حولية فليست على نسق واحد, فتارة يذكر الحادث التاريخي ثم يبدأ في ذكر تفصيله والروايات في تارة يذكر جملة الاحداث التي كانت تحتويها هذه الحولية, ثم يعود الى تفصيل بعضها, وفي ختام الحولية يذكر بعض من توفي في تلك السنة من المشهورين.

وجاء اسلوب الكتابة التاريخية عند ابن الاثير متطوراً الى حد بعيد, حيث تم التخلي عن مسألة الاسناد في الخبر التاريخي في مؤلة واكتفى بتوثيق المادة من خلال ايراده لمصادر الخبر التاريخي او الحادثة التاريخية, اما في مقدمة الكتاب او في ثناياه, وبالنسبة للغة الكتابة من الناحية الادبية, فجاءت سهلة ليست بالمسجوعة ولا المصطنعة, فقد تم اعتماد اللغة المتداولة بين المؤرخين في زمانه ومن سبقة دون تجاوز في ذلك, فلم يكتب باللغة العامية ولم يستخدم الالفاظ التي تشكل على القارئ. الدارس في تاريخ المدارس, تحقيق جعفر الحسني, مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق, مطبعة الترقى, دمشق 1948.

الهوامش :

- (1) انظر ابن خلكان ،شمس الدين أحمد بن محمد (ت 5681 هـ/1282م)، وفيات الاعيان وأبناء ابناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج7، ص 48.
- (2) النعيمي، محي الدين أبو المفاخر عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت927هـ/1520)، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسني، مطبوعات مجمع العلمي العربي بدمشق، مطبعة الترقى، دمشق 1948: ج1/ج2. وسيشار إليه لاحقاً، النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس.
- (3) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج1، ص 216.
- (4) المصدر نفسه، ج1، ص 277.
- (5) المصدر نفسه، ج1، ص 499.
- (6) محمد كرد علي، خطط الشام ، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1969م، ج6، ص 195.
- (7) أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي الدمشقي (ت665هـ/1267م)، الذيل على الروضتين (تراجم القرنين السادس والسابع الهجريين)، عني بنشره عزت العطار وسيشار اليه لاحقاً: محمد كرد علي، خطط الشام.
- (8) محمد كرد علي، خطط الشام، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1969م، ج6، ص 195. وسيشار اليه لاحقاً: محمد كرد علي، خطط الشام.
- (9) ابن الأثير، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية في الموصل، تحقيق: عبد القادر طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1963م، ج1، ص 270.
- (10) السبكي، طبقات الشافعية، ج5، ص 131.
- (11) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص 78.
- (12) السبكي، تاج الدين ابو نصر عبد الوهاب ابن علي عبد الكافي (ت771هـ/1369)، طبقات الشافعية الكبرى، المطبعة الحسينية المصرية، ط11،

القاهرة، 1324 هـ، ج8، ص 299-300. وسيشار اليه لاحقاً: السبكي ، طبقات الشافعية، وانظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص138.

(13) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص348.

(14) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، (ت774هـ/1272م)، البداية والنهاية، مطبعة السعادة، ط1، مصر، 1932م، ج13، ص 145-150.

(15) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج22، ص 353-356.

(16) ابن العماد الحنبلي، أبو الفرج عبد الحي ابن احمد بن محمد الصالحي، (ت1089 هـ/1679م). شذرات الذهب في أخبار من ذهب، القاهرة، مكتبة القدسي، 1350-1351 هـ، ص391.

(17) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج6، ص139.

(18) هو الامام محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر (310-244هـ)، المفسر، المقرئ، المحدث، المؤرخ، الفقيه، المجتهد، ولد بأمل طبرستان في اخر سنة 224 هـ، وطوف الاقاليم واستوطن بغداد، من تصانيفه: جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)، وتهذيب الآثار اختلاف الفقهاء، وآداب القضاء والمحاضر والسجلات. انظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج4، ص191. ياقوت، معجم الادباء، مطبعة دار المأمون، القاهرة، (1355هـ/1936م)، ج18، ص40. وسيشار اليه لاحقاً: ياقوت، معجم الادباء. السبكي، طبقات الشافعية، ج2، ص 135. ابن حجر، شهاب الدين ابو الفضل احمد ابن علي العسقلاني المصري (ت852هـ/1448م)، لسان الميزان، حيدر آباد الركن، 1331هـ، ج5، ص 100. وسيشار اليه لاحقاً: ابن حجر، لسان الميزان.

(19) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج3، ص348.

(20) ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص149.

(21)الصفدي، الوافي بالوفيات، ج22، ص136. أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص162.

(22)ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص9.

(23) المصدر نفسه، ج1، ص6.

(24) المصدر نفسه، ص 329.

(25) المصدر نفسه، ج8، ص33.

(26) المصدر نفسه، ج7، ص237.

(27) المصدر نفسه، ج7، ص 237.

(28) المصدر نفسه، ج8، ص 51.

(29) المصدر نفسه، ص51.

(30)المصدر نفسه، ج8، ص 9.

(31) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص 176.

(32) المصدر نفسه، ج8، ص421.

(33) أصل التسمية من: عَارٍ - عَيْرَانًا: ذهب وجاد مترددا. يقال: عَارَ الرجلُ في

الارض. انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (عار)، وهنا هم الشطار (محترفي الاحتيال) الذين كانوا يجوبون القفار في شوارع بغداد.

(34) المصدر نفسه، ج8، ص 203.

(35) المصدر نفسه، ج8، ص 212.

(36) الطرار: النشال يشق ثوب الرجل ويسل مافيه جهازاً نهاراً ثم يفر هارباً.

(37) المصدر نفسه، ج6، ص 126.

(38)المصدر نفسه، ج9، ص 318.

(39)المصدر نفسه، ج7، ص 309.

(40)المصدر نفسه، ج4، ص 324. ج8، ص215.

(41)المصدر نفسه، ج7، ص 93.

(42)المصدر نفسه، ص 298.

(43)المصدر نفسه، ج1، ص 295.

(44)المصدر نفسه، ج7، ص 455.

(45)المصدر نفسه، ج3، ص 215. ج4، ص 17.

(46) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص7،

(47) هو ابو الحسن ثابت بن سنان بن قره، وكان صابئي النحلة وكان ببغداد في ايام معز الدولة بن بويه، وكان طبيباً عالماً نبيلاً يقرأ عليه كتب بقرات وجالينوس، وكان فكاكاً للمعاني وكان قد سلك مسلك جده ثابت في نظره في الطب والفلسفة والهندسة وجميع الصناعات الرياضية للقدماء، وله تصنيف في التاريخ احسن فيه انظر: ياقوت، معجم الادياء، ج5، ص142. ابن النديم، الفهرست، مكتبة خياط، بيروت، 1964م، ص 302. وسيشار اليه لاحقاً: ابن النديم، الفهرست.

(48) القطفي، جمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف (ت646هـ/1248م)، ابناء الرواة على ابناء لنحاة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1974م. 1950م، ص109.

(49) ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص136.

(50) ابو الحسن هلال المحسن بن ابي اسحق ابراهيم بن هلال بن ابراهيم بن زهرون بن حيونو الصابيء الحرائي الكاتب، هو حفيد ابي اسحق الصابيء صاحب الرسائل المشهورة وقد ذكره الخطيب في تاريخ بغداد وقال: كتبنا عنه صدوقاً وكان ابوه المحسن صابئياً على دين جده ابراهيمي، فأسلم هلال المذكور في اخر عمره، وسمع من العلماء في حال كفره، لانه كان يطلب الادب، وكانت ولادة هلال بن المحسن في شوال سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، وتوفي ليلة الخميس سابع عشر من شهر رمضان سنة ثمان واربعين واربعمئة، رحمه الله تعالى، الخطيب البغدادي. ابو بكر احمد بن علي بن ثابت (ت463هـ/1071)، تاريخ بغداد او مجدينة السلام، مطبعة السعادة، ط1، مصر، 1349هـ/1931، ج14، ص76. وانظر: لبن الجوزي، جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن

بن علي البغدادي (ت597هـ/1183م)، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، ج8، الند، حيدر اباد الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، 1357-1359هـ، ص 176، وسيشار اليه لاحقاً: ابن الجوزي، المنتظم. وانظر ياقوت، معجم الادباء، ج19، ص294.

(51) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص245.

(52) ابو الفرج عبدالرحمن بن ابي الحسن علي ابن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبدالله ابن جمادى بن احمد بن محمد بن جعفر الجوزي بن عبدالله بن القاسم والذي ينتهي نسبه بأبي بكر الصديق، وهو بغدادي، فقيه، حنبلي، واعظ يلقب جمال الدين الحافظ، صنف في فنون عديدة منها " زاد المسير في علم التفسير " اربعة اجزاء، وله " المنتظم " في التاريخ وهو كبير وله "الموضوعات" في اربعة اجزاء، ذكر فيها كل حديث موضوع، وله اشعار كثيرة وكتب اخرى، والجوزي: بفتح الجيم وسكون الواو وبعدها زاي، هذه النسبة الى فرضه الجوز، وهو موضع مشهور، وكانت ولادته سنة ثمان وقيل عشرة وخمسمائة، وتوفي ليلة الجمعة ثاني عشر شهر رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة ببغداد ابن رجب، زين الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن احمد البغدادي الدمشقي الحنبلي (ت795هـ/1392م)، الذيل على طبقات الحنابلة، تصحيح محمد بن حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، مصر(1372هـ/1992م)، ج1، ص399. وسيشار اليه لاحقاً: ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة. وانظر: سبط ابن الجوزي، شمس الدين ابو المظفر يوسف بن قزاوغلي(ت654هـ/1256م)، مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط1، حيدر اباد الدكن، الهندي، 1370-1371هـ/1951-1952م، ص 481، وسيشار اليه لاحقاً: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان. ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص 276.

(53) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج1، ص7، 216، ج2، ص87، ج3ص125.

(54) المصدر السابق، ج1، ص7، ج3، ص244، 369.

(55) المصدر نفسه، ص20، 26، 29، 30، ج2، ص383، ج3، ص68.

(56) المصدر نفسه، ج1، ص16، 42، 360، 613.

(57) المصدر نفسه، ج1، ص64، 528، 529، 429.

(58) المصدر نفسه، ج1، ص7.

(59) المصدر نفسه، ج1، ص52، ج1، ص45، ص60.

(60) المصدر نفسه، ج10، ص248، ص345.

المصادر والمراجع:

لسان الميزان، ج5، حيد

1. ابن الاثير، علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد ابن الاثير الجزري (ت:630ه)
2. التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية في الموصل، تحقيق: عبد القادر طليمات، ج1، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1963م. ابن الجوزي،
3. المصري (ت852/ه1448م).
4. المنتظم في تاريخ الملوك والام، ج8، الهند، حيدر اباد الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، 13
5. 57-1359ه. ابن حجر، شهاب الدين ابو الفضل احمد ابن علي العسقلاني)
6. وفيات الاعيان وانباء ابناء الزاباد الركن، 1331ه. ابن خلكان، شمس الدين احمد بن محمد (ت5681/ه1282م جمال الدين ابو الفرج عبدالرحمن بن علي البغدادي (ت597/ه1183م).م زمان، ج7، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت. الخطيب
7. تاريخ بغداد او مدينة السلام البغدادي، ابو بكر احمد بن علي بن ثابت (ت463/ه1071م)، مطبعة السعادة، ط1، ج14 مصر، 1349/ه1931م.
8. داشرة المعارف الاسلامية، ترجمة محمد ثابت الفندي واخرون، ج6، نشر جهان تران بوذ جمري، دن. دب. ابن رجب، زين الدين ابو الفرج عبدالرحمن بن احمد البغدادي دمشقي الحنبلي (ت795/ه1392م).
- الذيل على طبقات الحنابلة، تصحيح محمد بن حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، ج1، مصر، (1992/ه1372م) سبط ابن الجوزي، شمس الدين ابو المظفر يوسف بن قزاوغلي (ت654/ه1256م)
9. مرآة الزمان في تاريخ د، 1370-1371ه/1951-1952م. السبكي، تاج الدين ابوالاعيان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط1، حيدر اباد الدكن، الهن نصر عبدالوهاب ابن علي بن عبد الكافي (ت771/ه1369م)

10. طبقات الشافعية الكبرى، المطبعة الحسينية المصرية، ط11، ج8، القاهرة، 1324م. ابو شامة، شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل المقدسي الدمشقي (ت1267/هـ665م).
11. الذيل على الروضتين (تراجم القرنين السادس والسابع الهجريين)، غني بنشره عزت العطار الحسيني، دار الجيل، ط2، بيروت، 1974.
- القفطي، جمال الدين اب الحسن عهلي بن يوسف (ت1248/هـ646م).
12. انباه الرواة علي انباه لنحاة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1973م، 1950م. ابن العماد الحنبلي، ابو الفرج عبد الحي ابن محمد الصالحي، (ت1679/هـ1089م).
13. شذرات الذهب في اخبار من ذهب، القاهرة، مكتبة القدسي، 1350-1351هـ. ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر الدمشقي، (ت1272/هـ774م)، البداية والنهاية، مطبعة السعادة، ط1، ج13 مصر، 1932م. محمد كرد علي.
14. خطط الشام، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1969م. ابن النديم، محمد بن اسحاق بن محمد بن اسحاق(ت378هـ)
15. الفهرست، مكتبة خياط، بيروت، 1964م. النعمي، محي الدين ابو المفاخر عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت1520/هـ927م). ياقوت شهاب الدين عبدالله (ت6230هـ)
16. معجم البلدان، ج2، بيروت، دار صادر، 1986م.
17. معجم الادباء، مطبعة دار المأمون، ج18، القاهرة، (ت1936/هـ1355).

http://www.madad2.com/2015/05/blog-post_22.html